القصة الشهرية

الشحاذ والفطائر العشر

بقلم القاص الكبير الاستاذ محمود تيمور

حدثني صديقي قائلا :

منذ سنتين كنت اسكن حي الحلمية القديمة وكنت أركب الترام دائماً من المحطة الواقعة على رأس الحارة في شارع محمد علي بالقرب من احدى المطاعم البلدية . وقد تعودت أن أرى أثناء انتظاري للترام شحاذاً مقطوع الساقين يرتدي سترة صفراء قديمة من ستر كمساري الترام ويتعمم على طريقته بخرقة بالية . وكان مرآه يثير شفقتي فأعطيه كل يوم نصف قرش . وتوثقت بيننا المعرفة . فكنت أقطع انتظاري بحديث ساذج معه . عرفت منه انه كان من عمال « الدريسة » لشركة الترام وأصيب بعارض أضاع له ساقيه فاضطر أن يستجدي ليمول عائلته . اختار مكانه هذا تحت البواكي بجوار محطة الترام وبالقرب من المطعم البلدي إذ وجده أوفر ربحاً من غيره . وكان يراه المارون والمنتظرون جالساً جلسة الخشوع لا يرفع بصره الى أحد ولا يلح بسؤال على إنسان فيخالونه ولي صالح طارق في تأملاته اللانهائية . ولا أذكر انني ذهبت مرة الى محطة الترام ولم أجد صديقي الشحاذ هناك . وقد تعودت ان أراه في مكانه لا يتغير له وضع ولا شكل كأنه جزء متمم للعامود الذي يعتمد عليه . وطالما نظرت إليه طويلا فتخيلته صنماً محطماً من أصنام قدماء المصريين ملقى منذ مئات السنين في خرائب الأقصر ، يلوح منه جلال الفن ووقار القدم .

وذهبت يوماً الى محطة الترام فلم أجد الشحاذ هناك . وكانت أول مرة رأيت فيها مكانه خالياً . فاختلط علي الأمر وظننت أني أخطأت الطريق وقصدت إلى محطة أخرى ولكن المطعم البلدي أكد لي خطأ ظني . وسرت حيرة وذهابا اقطع الوقت منتظراً مجيء الترام وقد استولى علي شيء من الأسف والضيق . وبغتة قصدت إلى المطعم البلدي وسألت صاحبه :

ألم يحضر اليوم الحاج بيومي الشحاذ ؟

هذه أول مرة تغيب فيها منذ خمس سنين أي منذ إنشاء مطعمي هذا

— ألا تعرف السبب ؟ — مطلقا ياسيدى ومع الأسف

وجاء الترام فركبته وأمضيت بقيه اليوم كالمعتاد . فى اليوم التالى ذهبت الى المحطة وفى شىء من القلق ولكنى لمحت الشحاذ من بعيد فى مكانه غارقاً فى تأملاته ، تسرى عنى .

ولما اقتربت منه رفع إلى بصره وابتسم ابتسامة صغيرة مرعان ماانختفت ضائعة فى تجاعيد وجهه ثم خفض رأسه فى الحال وقد لاحظت عليه مظاهر الاعياء . فقذفت بنصف القرش إليه وحدثته قائلا : — لم تأت أمس ياحاج بيومى — فأجاب وهو مطأطىء الرأس على غير عادته.

— كنت مريضاً ياسيدى — وكان فى صوته نغمه حزن ظاهرة

— لقد حرمت من مكسبك بلا ريب ؟ — ان الله لا يترك عبده

فأخرجت من جيبى قطعة من ذات الخمسة قروش وناولتها له وأنا أقول :

— ربما تجد فى هذا المبلغ مايعوض عليك خسارة الأمس

فرفع إلى بصره الحائر وقد امتلأت عيناه بالدموع وتكلم بتلعثم :

— ولكن ياسيدى .. انى . . وجاء الترام فتركت الشحاذ يحدث نفسه بكلامه المتقطع الغير المفهوم .

واختفى الرجل يومين كاملين ثم ظهر فى اليوم الثالث . رأيته من بعيد يحتلا مكانه المختار فلما لمحنى تحرك زاحفاً بيديه واختفى داخل البواكى . أرآنى حقاً وهرب منى ؟ . . هذا ماأدهشنى ! ولما وصلت المحطة درت بعينى هنا وهناك فلم أر للرجل أثراً .

ومضى أسبوع والحاج بيومى الشحاذ يظهر يوما ويختفى يومين . . . ولكنه كلما لمحنى من بعيد آتيا صوب محطة الترام كان يهرب من وجهى . فازدادت حيرتى واندهاشى . ولكننى أقنعت نفسى أخيرا بتفاهة الموضوع وظننت أن الرجل قد أصابه شىء من الخبل . ثم انقطع ظهوره ثلاثة أشهر كاملة فكدت أنساه تماما . وقصدت يوما إلى محطة الترام وما كانت أكبر دهشتى عند ما رأيت الرجل من بعيد فى مكانه المعروف . فنادیت نفسى قائلا :

« سوف يهرب منى الآن » ولكنه لم يتحرك وكان يرقب مجيئى بشغف . فلما وصلت الى المحطة زحف نحوى وسلم على ببشاشة وتهليل فعجبت لأمره وسلمت عليه سلاما طيبا . وسألته قائلا : — لقد غفرت أخيرا ياحاج بيومى . .. — حقاً كانت غيبة طويلة

فأخذ يدعك يديه ببعضهما وهو ينظر إلى الأرض . ثم تكلم قائلا — كنت استجدى فى مكان آخر

— أكثر ربحا من هنا ؟ — بل أقل بكثير

— وماذا دعاك إلى ترك محلك إذن ؟ فصمت برهة قليلة ثم رفع عينيه البراقتين وقال بلهجة الحزم والثبات :

— لقد كنت اهرب منك ياسيدى — إنى لاأفهم قولك ياحاج بيومى

وجاء الترام فهممت أن أركبه وقد تيقنت أن الرجل محبوس فى عقله إذ أمسك طرف سترتى بلطف ورجانى فى إلحاح أن استمع له . فعدت الى مكانى وقد دفعنى حب الاستطلاع لاجابته الى طلبه وتكلم الحاج بيومى بصوت هادىء ورزين وهو يداعب لحيته القصيرة وقال :

— سامحنى إذا كنت قد أسأت إليك بل اجرمت فى حقك يا سيدى .. ! اسمه حديثى ثم احكم على . ولكن أرجو أن تكون قاضيا عادلا

أتذكر حضورك إلى هذا المكان منذ ثلاثة أشهر وتصفح ساعة ميكرة بعد الغداء ؟

— لا اذكر تماما

أما أنا فأذكر هذا اليوم وحوادثه لن تفارقنى ماحييت كانت الساعة إذذاك حوالى الثانية بعد الظهر وكنت أنا مستسلما للنعاس جئت أنت تهنئنى بأحسانك اليومى الكريم . فاستيقظت وقد رأيتك تسير جيئة وذهابا منتظرا بفارغ صبر حضور الترام . وكنت مطأطىء الرأس تتأمل موطىء قدميك . ثم أخرجت محفظتك وجعلت تقلب طويلا فيها من الأوراق وأنت تنظر إلى ساعتك من آن لآخر . وأخيرا أخرجت ورقة جعلت تفحصها باهتمام وأقبل الترام فى هذه اللحظة فاتجهت نحوه بسرعة وعيناك لاتفارقان الورقة !

وهنا توقف الحاج بيومى ليبلع ريقه الجاف ويمسح عرقه . ثم تكلم بصوت مرتعش متمتما

— . . . وطويت المحفظة وأعدتها الى جيبك ولكن ورقة مالية سقطت منها وحملها الهواء إلى . فأذا هى ورقة من ذات الخمسة قروش . فهممت أن أناديك ولكن يدى لمست الورقة دون وعى منى . فشعرت كأن لسانى مسمر فى حلقى . وكنت أراقبك وأنت تركب الترام بعينين زائغتين ويدى على الورقة تخفيها عن أعين الناس . ولما تحرك الترام وابتعد قليلا شعرت بقوة تدفعنى للحاق به فزحفت بأقصى سرعتى وأنا أناديك وألوح بيدى ليوقفوا الترام . ولكن لم يعبأ بى أحد واختفى الترام فى لحظة وجاءنى المعلم عفيفى صاحب المطعم وقد سمع صوتى وأنا أنادى وأصرخ وسألنى عن أمرى فقلت له على الفور (لقد كنت أطلب الاحسان من شخص) فنظر إلى متعجبا لانه يعلم أنى لم أفتح فمى فى حياتى بطلب ما . وعاد المعلم عفيفى الى مطعمه . وسكنت الحركة فى الشارع فلم أعد أرى ظلا لمخلوق فأخرجت الورقة المالية من جيبى باحتراس وتأملتها مليا فى خوف وحذر . وناجيت نفسى قائلا (سوف تأكل اللحم وتنعم بأطايب الطعام) ولكن يدى ارتعشت فأسرعت بادخال الورقة فى جيبى وأنا أردد قولى بعناد (بل سوف أرد غدا النقود إلى صاحبها) ومكثت نصف ساعة وأنا فريسة الافكار المختلفة ولم أستطع أن ألزم مكانى بقية اليوم فهرعت إلى دارى فقابلتنى زوجتى وسألتنى عن سبب عودتى مبكرا فانتحلت لها عذرا وقصدت ركنا بجوار النافذة وأخرجت الورقة من جيبى وجعلت أتأملها طويلا وأنا أناجى نفسى باختلاط قائلا (سوف تأكل اللحم وتنعم بأطايب المأكولات) بل سوف أرد النقود

إلى صاحبها) وهجم على صغارى يقبلونى وكانت عليهم أشكال بالية وتظهر من تحتها أجسادهم فضممتهم إلى صدرى . وبغتة صرخت قائلا . « سوف تكتسون غدا بملابس حمراء زاهية » فنظروا إلى بعجب وارتياب . وتقدم أكبرهم وقبلنى فى وجهى وسألنى فى رفق . « حقا ستلبس غدا الملابس الحمراء الزاهية ؟ فقلت . « أجل سوف أشترى لكم غدا من السوق أقمشة حمراء زاهية وسوف تخيطها لكم أمكم » وأعدت كلامى عليهم عدة مرات حتى اقتنعوا فهبوا فرحين مسرورين وأخذوا يرقصون حولى وهم يصيحون قائلين « سوف نلبس غدا الملابس الحمراء الزاهية ، سوف تكتسى غدا بالملابس الحمراء الزاهية » ثم أسرعوا إلى أمهم وكانت خارج الدار فأعلنوا لها الخبر فى ضجة كبيرة وقادوها إلى فأكدت لها الخبر وصحت قائلا . « وستملأون بطونكم بأشهى الأطعمة » فرددوا قولى بصياح وهرج . وأقبلوا على يقبلونى من جديد فكنت أقبلهم والدموع تسح على وجهى . وانقضى اليوم التالى على أحسن مايكون . فأكلنا أشهى الأطعمة وا كتسى أولادى بالملابس الحمراء الزاهية . ولما سألتنى عن سبب غيبتى أخبرتك كذبا بمرضى فأعطيتنى إحسانا خمسة قروش كانت تلمع فى يدى كأنها عقرب هائج . فلم أستطع أن أبقيها عندى ورميتها جانبا وعدت من فورى إلى دارى وأنا محموم أرتعش . فقابلنى أولادى بملابسهم الحمراء وأحاطونى وجعلوا يرقصون فكأنها نار الجحيم تلتهب حولى فتخلصت منهم وانكفأت إلى ركن من أركان الحجرة وجعلت أبكى وأرتجف . وارتاع الأطفال من منظرى وأخبروا أمهم فجاءت على عجل فأخبرتها إنى مريض وإنى فى حاجة إلى الراحة والنوم . ومنذ ذلك اليوم لم يهدأ لى حال : كانت لدغة الخمسة القروش مازالت تؤلمنى كانت لهب جهنم تزورنى فى أثواب أطفالى فكنت أتجنب رؤيتهم وحرمت نفسى من تقبيلهم وضمهم إلى صدرى وكانت عشرة أيام تذوقت فيها عذاب الجحيم . وأخيرا اهتديت إلى طريقة كانت فيها خلاصى . عزمت على رد نقودك اليك . وسألت زوجتى عما تبقى من المبلغ فأخبرتنى انه لم يبق منه شىء فقد كست نفسها والأطفال معها ودفعت بعض الديون واشترت شيئا من المؤونة للمنزل . إذن على جمع المال من جديد . لا بأس . هذا مااستقر عليه رأيى . ولما كنت قد أقسمت ألا أراك إلا ومعى المبلغ فقد هربت إلى مكان بعيد استجدى فيه . وجاهدت فى سبيل الاقتصاد ما استطعت فتقشفت فى حياتى رغم تقشفى الدائم . واخلفت وعدى لأولادى وأغضبت زوجتى . ولكنى راضيا عن نفسى . وبدأت أتذوق حقا طعم الهناء . وكانت ملابس أطفالى الحمراء الزاهية لا تخيفنى لأنى كنت أجمع ثمنها لأعيده اليك . وهاهو جمعته كله خذه ياسيدى وأرحنى منه فهو مالك — حرام على حلال لك :

وأخرج من جيبه صرة معقودة ودفعها الى وهو يقول :— خذه مالك ياسيدى خذه وأرحنى منه أراحك الله فنظرت الى الصرة المفتوحة فوجدتها خرقة قذرة تحوى كمية وافرة من قطع النقود المختلفة من المليم إلى الريال . ورأى فى عم يوسى أحدق فى الصرة ولا أمد يدى نحوها فقال :

— لقد عددت اليوم مبلغك فوجدته لا ينقصه مليم واحد . خذه وعده هنا أمامي إذا شئت

وكنت مأخوذا بما سمعت . أنظر بذهول تارة إلى الرجل وطورا إلى صرة النقود ولا أعرف ماذا أصنع . فصرخ الرجل منها بقوله :

— سيدي إذا لم تأخذ نقودك فسوف أرميها في البئر . سيكون نصيبها العدم . خذها وأرح ضميري أراحك الله . فمددت يدي وتناولت الصرة فضممت ووضعتها في جيبي . ثم شددت على يده وجعلت أهزها وأنا أغمغم قائلا :

— أنت شهم ياعم بيومي أنت شهم . وصرت مطمئنا وأنا أفكر فيما سمعت وفيما رأيت .

لم أر عم بيومي بعد ذلك إذا تغيرت المحطة التي أركب منها الترام . وكلما هم بي عطف لأن أذهب لرؤية الشجاذ ، الكبير القلب . أمسكني عن ذلك باعث داخلي لم أفهم كنهه

وكان صديقي يحتسي فنجان القهوة ويدخن سيجارته فالتفت إليه وقلت : أمثال هؤلاء الناس قليلون ياصديقي ثم نظرت إلى ساعتي فوجدتها الرابعة فقلت:

إن ميعادنا مع صديقتنا سليم في الساعة الخامسة والنصف أمامنا متسع من الوقت ، أليس عندك ما ترويه لي غير هذه القصة ؟

فنظر إلى دخان سيجارته طويلا وقال : — عندي حكاية عن عهد التلمذة أيروقك أن تسمع شيئا عن ذلك العهد

— جدا وما موضوعها ؟ — الفطائر العشر

— ما شاء الله هبات ما عندك ! فلم يغير صديقي جلسته وكان ينظر دائما إلى دخان سيجارته وبدأ يتكلم قائلا :

في يوم من الأيام طلبني معلم الحساب الثقيل أنا وزميلي رؤوف بحرماننا من طعام الغداء الذي كنا نتناوله في المدرسة وقصرنا على العيش الحاف وكان من نظام المدرسة أن يدخل المعاقبين بالعيش الحاف في نفس حجرة الطعام مع بقية الآكلين ويوقفهم صفا بجوار الحائط ثم يوزعون عليهم الأرغفة ، ليشعروهم بذل الموقف وكان عقاب العيش الحاف يؤلمني أكثر من أي عقاب آخر فكنت أدير ظهري لموائد الأكل ، مواجها الحائط ، مضربا عن أكل الرغيف وقد غافلت الضابط المراقب وأعطيت رغيفي إلى الفراش كالمعتاد . والتفت إلى زميلي رؤوف فوجدته يقضم الرغيف من طرفه المستدير ويتبادل مع الآكلين بين فترة وأخرى الكلمات والجمل التهكمية فمالت عليه وقلت :

ما رأيك في الذهاب إلى الحلواني بعد خروجنا عصرا من المدرسة لنأكل الفطائر اللذيذة ؟

— هذا ما فكرت فيه

إن حسين افندي معلم الحساب لم يحرمنا من شيء كبير . . . هل تأسف على شوربة العدس أو صحن الخضار المسلوق أو على قطعة اللحم النيء التي مثل الكاوتشوك — أو على خشاف المشمش المنقوع : — ألا لعنة الله عليهم وعلى أكلهم

وامتلأت في هذه الآونة خيا شيما برائحة طيبة هبت علينا من الموائد القريبة فقضم زميلي وغيفه قضمة جبارة ، وابتلعت أنا ريقي في سكون. ثم عاودت الكلام فقلت :

ـ أقسم أني سوف أنتقم من حسين افندي

ـ وكيف ذلك ؟ ـ سوف آكل عند الحلواني عشر فطائر . عشر فطائر بتمامها

ـ انتقام هائل . وهذا ما عزمت عليه أنا ايضا

وكان العصر . فخرجت من المدرسة مصطحبا صديقي رؤوف مبيمين دكان الحلواني . كنت أشعر بخلو معدتي ودوار رأسي . فأذكر رمضان وتشبني بالصيام فيه. وأخيرا وصلنا وكان المحل ببعد عن المدرسة مقدار ربع ساعة . ودخلنا وأخذ كل منا طبقا وشوكة لينتقي الفطائر التي تروقه . وكان من عادة المحل أن يحاسب الآكلين بعد أكلهم. فتقدمنا فيهم ، ودنا الى قريبي مراد . وكان خارجا من المحل فناداني وجعل يحادثني برهة بجانب الباب . ثم ودعني مدما أزهق روحي . واتجهت نحو رؤوف فألفيته قد انتهى من أكل فطائره ودفع حسابه فتناولت فطيرة وجعلت أقضمها بلذة وشغف وأدخلت يدي في جيب صديري لأستوثق من وجود نقودي وبدأت اعدها قرشا قرشا ، فوجدتها سبعة قروش تمريفه . فالتفت إلى صديقي وقلت ماجنا :

ـ سوف لا آكل الا سبع فطائر فقط . . . ـ ولم ذلك ؟

ـ لاني لا أملك الا سبعة قروش تمريفه فنظر الى بخبث وغمزني وقال بصوت منخفض :

ـ بل يمكنك أن تأكل ما تشاء ، وتدفع لهم ما تشاء ـ ماذا تقصد بذلك ؟

ـ أن لا تدقق في الحساب . إنهم لا يعدون الفطائر التي تأكلها

فتوقفت عن أكلي ولم أتم فطيرتي ، إذ شعرت بغصة أسد حلقي . ووضعت الطبق جانبا وقلت لرفيقي بصوت متهدج ـ وهل فعلت أنت ذلك ؟

ـ طبعا . أكلت عشر فطائر ودفعت عنها أربعة قروش تمريفه

فقبضت على ذراعه وقلت له بغضب ـ أنت تفعل ذلك يا رؤوف ـ هيا اذهب ادفع باقي حسابك ـ هيا

ـ أنت عبيط ـ ليس معي نقود بالمرة . وإذا كان معي ؛ هل كنت تظن أني أفعل ؟

ثم تركني وسار بجوار الباب وهو ينظر الي بابتسامة كريهة. فقصدت من فوري أمينة الصندوق ـ الكيس ـ وقلت لها ـ لقد أكلت بامدموازيل سبع فطائر وها هو عنها سبعة قروش تمريفة

ـ مرسي .. ولما اقتربت من الباب نظر إلي رؤوف بخجل وارتباك وسألني قائلا :

ـ ماذا فعلت ؟

دفعت الى المحل الستة القروش التي اختلستها منه .. وخرجت وأنا اشعر باشمئزاز وتقزز .

(فهرس العدد الرابع من السنة الثانية)

صحيفه		
١	كلمة المعلمين	للأستاذ محمد الجوهري
٥	النمو	بقلم الاستاذ محمد مظهر سعيد
٩	رجل الغد	للآنسه زينب الحكيم
١٧	الثقافة	للأستاذ احمد فؤاد الاهوانى
١٩	العقليات المتمردة	ع . ط
٢١	من آى الذكر الحكيم — ٢	للأستاذ العلامة الشيخ طنطاوى جوهرى
٢٧	المعلمون فى مصلحة الحدود	« محمد سعيد أحمد
٣٠	جمال الدين الأفغانى — ٣	« حسنين حسن مخلوف
٣٥	باكتابى . . . ؟	« هام حسن سعيد
٣٦	أجدادنا الأدباء	« محمد محمد عامر
٣٨	الحظ	بقلم الدكتور يحيى أحمد الدرديرى
٤١	الخليل	للأستاذ محمد سليمان
٤٣	المنافقون	« محمد عيسى موسى
٤٥	القومية	« عبد العزيز سالم
٤٦	تثقيف البنت	للآنسة بدريه محمود
٤٧	حقوق المرأة بعد الاسلام	« جلفدان على سالم عمر
٤٨	الأم وأحسن ماقيل فيها	للأستاذ زكى ابراهيم بيان
٤٩	رياض الشعر	. . . . .
٥٢	عظات التاريخ	للأستاذ محمد السعدى محمود
٥٤	حديث سعادة وزير المعارف	. . . . .
٥٥	شئون النقابات	. . . . .
٦١	القصة الشهرية	. . . . .

لتجربة هذه الشفرات ارسل عشرة مليمات طوابع بريد تصل لك برجوع البريد باكونة عشرة شفرات من أى نوع من الاربع ماركات المبين بهذا الاعلان واذكر اسم هذه المجلة

نظرا للنجاح الذى لاقته مستحضرات حسن شريف العجيبة قد قررت إدارة شركه بيع المصنوعات المصرية عرض تلك المستحضرات بجميع فروعها بالقاهرة بأثمانها المعروفة

مستوردات حسن شريف العجيبة

شراب حرير حريمى

ص ١٦

بطول ويقصر حسب ساق السيدة

بودرة شريف ٨

تمكث ٢٤ ساعة بدون أن يتغير لونها أو يتجدد استعمالها

كولونيا شريف ٨

تعيد للشعر الشايب الابيض لونه الأصلى بدون صبغه

حمام الوجه الليلى ٥

يكسب الوجه جمالا طبيعيا بدون علاج

حمام الايدى ٦

يعيد للايدى نعومتها ونضارتها

(ميدان سوارس رقم ٤ بالدور الثانى)

تليفون ٥٢٦٠١

المواعيد صباحا من ٩ — ١ ومن ٤ — ٨ مساء

ويضاف على الثمن قرشين للبريد

أرسل ٦٠ مليما فقط طوابع بريد

يصلك كارت جميل مطبوع طبعا متقنا وحسب طلبك بمطبعة حضير شارع عبد العزيز بمصر صندوق البوستة ١٠٥٧

أحسن القمصان بمحلات نقولا صيدح

نمرة ١٧ الموسكى بمصر